٩٧٨/٤/١٧

الفكر العربي

مجلة الإنماء العربي للعلوم الانسانية

تصدر عن معهد الإنماء العربي في بيروت

العدد الحادي والثلاثون كانون الثاني (يناير) ـ آذار (مارس) ١٩٨٣ السنة الخامسة

مستشارو التحرير

د. علي بن الأشهر — د. إحسان عباس — د. شكري فيصل

الشيخ عبدالله العلايلي — د. عمر التومي الشيباني — د. عبدالسلام المسدي — رئيس التحرير

د. مصطفى التير — د. معن زيادة — د. إبراهيم رفيدة — رضوان السيد

المدير المسؤول عوض شعبان

العنوان

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٨٤١١
التاريخ / ١٥/٢/٢٠١٤

معهد الإنماء العربي
بيروت ـ لبنان

ص.ب المجلة : ١٤/٥٥٦٤ ص.ب المعهد : ١٤/٥٣٠٠

الهيئة القومية للبحث العلمي
طرابلس ص.ب ٨٠٤

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الثمن : ٢ د.ل. أو ما يعادلها

تاريخُ الاستشراقِ الأُوروبي (★)

غوستاف ديغا
مراجعة د. علي جابر

ديغا (Dugat) : مستشرق فرنسي ـ وجهته الجزائر ـ عرض لنا في عام (١٨٦٨) مجمعه الشخصي. إعادة طبع الكتاب لا تفيد إلاَّ بقدر نزوعها إلى الماضي. وقراءته تُبهر النظر: نبذات عن سيَر حياة، آراء وأحكام، اندفاعات وحماسة، تأكيدات على تقدم العلم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. «عاش المستشرقون حتى الآن في عزلة وينتابهم الحسد أحياناً. سعداء، عندما يكون باستطاعتهم أن يجدوا هذا أو ذاك على خطأ. ألم نشاهد بين هؤلاء شخصيات مرتابة ومشككة ومنعزلة، بل والمستأثرة لذواتها والحانقة لأعمال منافسيها والمحتكرة لاختصاصها ودراساتها؟... وحتى لا نذهب بعيداً، يكفي أن نعلم بأن المستشرق جوزيف سكاليجر (Joseph Scaliger) يسمي أحد مناهضيه الـ (Stercus Dialedo) في ذلك الوقت، برزت استعدادات جيدة لتصحيحات هامشية لما يُسمَّى بسأم قراءة النوع: «**أرنست رينان**» في تاريخه للغات السامية»، (ص ٢). يُظهر عدم صحة هذه التسمية (Langues Semitiques). وبرأيه، أن هذه الأخيرة يجب أن تُستبدل باللغات السورية ـ العربية.

والمدخل التاريخي للكتاب لا يخلو من الروعة: «ذات يوم. غير راضٍ عما صمَّمه ملك هانوفر (Hanovre) السابق جَمَع «إيڤالد» (Ewald) بعض الاساتذة، وطلب من الملك محو بعض المقالات المناهضة للحرية. عُوقب بسبب هذه المواجهة بالعزل. استغل هذا الموقف وزار باريس، ولندن، وروما. والحادثة المستغربة مفادها: أنه بالرغم من كونه لاهوتياً متحرِّراً، فلقد كتب رسالة الى البابا يبرهن فيها على افتقاده للحسّ اللاهوتي».

جزءا الكتاب يطلاَّن من خلال نبذات وجمع سريع (أو طويل) لتلخيص سير ذاتية مزخرفة ببليوغرافيا مُفسَّرة. نبدأ مع بدايات القرن التاسع عشر، دون معرفة سبب تجاهل القرن السابع عشر.

سنحاول إجتياز كل هذه التفاصيل، وبالتالي جعلها واضحة:

كوسيغارتن (Kosegarten) : حقق فضوله وحبه

★ Gustave Dugat: Histoire des orientalistes de l'europe de XIIe au XIXc siècle precedé d'une esquisse historique des études orientales paris, Maisonneuve et cie T. 1 1868 T. 2 1870 offset Reprint 1982. 541 Pages.

للاطّلاع بفضل كتاب « قواعد ميكاليس العربية » الذي وجده في مكتبة والده (الراهب في ألتنكيرخن) (Altenkirchen) . منذ ذلك الوقت، باتت اللغة العربية دراسته المفضلة . غادر إلى باريس لفترة وجيزة ليدرس اللغة العربية الكلاسيكية على يد دي ساسي، واللغة العربية العامية مع المصري (روفايل) .

كوالفسكي (Kowalewski) : مستشرق روسي، عمل على العربية والفارسية والتتارية والمنغولية، واهتم أيضاً بالبوذية . « الكتب البوذية المقدسة استبدلت بعض الأحيان في كالكتا (Kiakhta) بالفراء الروسية، لكن الصينيين لم يتعاملوا مع هذه الكتب إلاّ لكونها بضاعةً غالية الثمن » .

ميشال أماري (Michel Amari) : يعتبر أنه من المفيد لقارىء العربية قراءة ملخص كتاب **عقيقي** الذي ظهر في القاهرة . « وعلى غير منوال والده الذي كان إلى حدٍ ما (فولتيري) . حاولت عائلته جهدها لإعادته (أي إعادة ميشال) كاثوليكياً صالحاً دون تزمت . إلاّ أن عدم نجاح العائلة بذلك، لا يعود باللائمة عليه » .

غيريه دي ديماست (Guerrier de Dumast) : « إلهامه الوحيد في حقل الاستشراق العربي يكمن في محاولته دراسة حرف الغين (Ghain) العربي » . والتي نشرت فى المجلة الآسيوية عام (١٨٥٢) .

غوستاف ڤايل (Gustave Weil) : في نهاية عام (١٨٣٠) . وبعد إقامته لبعض شهور في الجزائر، « عاد إلى القاهرة، حيث شغل، ولمدة أربع سنوات وظيفة أستاذ ومترجم في عدة مدارس أسّسها نائب ملك مصر . وما تبقى من وقته كرّسه لدراسة العربية بصحبة (**فيلجنس فرسنل**) على يد الشيخ محمد عياد والشيخ أحمد التونسي » .

ويقول **ديغا** عن (Weil) : « لكن كتابه الرئيسي يبقى **تاريخ الخلفاء**، وهو ثمار ستة عشر عاماً من الجهد المتواصل، كتبه بالعودة للمخطوطات العربية، التي شكلت مورداً غنياً ؛ كُشف قسم منها على يديه للمرة الأولى » .

ويتابع : « تاريخ العرب قبل الاسلام » لـ **كوسان دي پرسڤال**، و « تاريخ الخلفاء » لـ **ڤايل**، و « تاريخ الإسلام في اسبانيا » لـ **ر. دوزي**، و « تاريخ الإسلام في صقلية » لـ **لأمارمي**، و« فتح العرب لافريقيا » لـ **م. هنري فورنل**، من خلال هذه الاعمال الخمسة الضخمة، نستطيع معرفة الدور الذي لعبه العرب في العالم » .

نويل دي فرجيه (Noël des Vergers) : انصب اهتمامه على النورمانديين في صقلية، ثم نشر التاريخ العربي لسورية، والعالم الجذّاب عند **ديدو** (Didot) . وبزواجه من ابنة ديدو استقر في (رميتي)، ثم التقى بالنقاش الايطالي (**بورغيسي**) وبالتعاون معه، ابتدأ بالتدوين للمنقوشات اللاتينية ؛ وذلك قبل أن ينصبّ اهتمامه على الأتـرورية وتاريخها (اتروريا ـ مدينة كانت تقع قديماً غربي ايطاليا) . هذا المثقف العالمي . مأخوذ في بعض الأحيان بالمكائد السخيفة والشهوات العابرة، وصراعات حب الذات، إلاّ أنه وجد مثالاً يحتذي به، وهو اتباع (نويل دي فرجيه)، الذي كان العلم بالنسبة اليه شغله الشاغل . إذ كان تواضعه المبالغ به، كان من أهم صفاته »

هولنبوي (Holomboe) : سويدي الأصل . غادر إلى باريس في صيف (١٨٢١)، لمتابعة دروسه العربية والفارسية على يد **دي ساسي** ولمتابعة العربية الحديثة أيضاً على يد الأب (كوسان) . وبقي في باريس حتى خريف (١٨٢٢) . اهتم بعدها بالآثار والجغرافية التوراتية . وكذلك اهتم بعلم المسكوكات والفيلولوجيا المقارنة .

أ. م. سديللو: من خلال أعماله على تاريخ الرياضيات وتاريخ علم الفلك عند الشرقيين . « برهن بأنه لم يكن هناك سوى علم للفلك خاص باليونان، وآخر خاص بالعرب . وأن المعاصرين احتذوا طريق هؤلاء الفلكيين فيما بعد .

وأكد كذلك، عدم وجود ما يُسمّى بعلم فلك خاص بالهنود والصينيين».

ويلسون (Wilson): «شغله الشاغل انصب على الوضع الحالي للهند. حيث بقي اسمه مألوفاً في هذه البقعة لمدة طويلة، وخاصة في البنغال حيث اهتم بتطوُّر الثقافة الأولية»

يتابع ديغا القول: «احذروا المانيا حيث الأساتذة المشهورون، ومريدو دي ساسي، أمثال: (كاترمير) و (بيرنون)... إلخ. الذين يحاولون تخطي اساتذتنا في هذا الحقل». وبشأن هذا التنافس، يقول ديغا: علينا أن نرفع علم فرنسا عالياً، رمزاً للحضارة العالمية.

م. رينو (M. Reinaud): لم يُقم في الشرق، كما هي حال استاذه دي ساسي، ولم يكن له علاقات متواصلة مع المشرقيين. ودون أن يتقن اللغة العربية، توصل من خلال تجارته بالكتابات العربية أن يستوعب اللغة العربية ويتقنها، شأنه شأن العربي المختص، بل وأكثر من ذلك. ويشهد على فهمه العميق لهذه اللغة، التمهيد الذي وضعه لكتاب دُرّة الغوّاص عند الحريري. حيث أنه استطاع أن يفهم، وبشكل جيِّد، لسان القوم؛ ولو قُدّر له أن يتكلم لغة هؤلاء القوم (أي اللغة العربية) لنجح في أن يكون استاذاً مرموقاً.

«لم يترك م. رينو لنا أي دليل يؤكد من خلاله أنه يستطيع الكتابة باللغة العربية. والسبب في ذلك، يعود إلى عدم تمكنه من التكلم بالعربية».

وهكذا، **فساسي** لا يتكلم العربية التي يعلمها، و **رينو** لا يكتب اللغة العربية التي يعلمها. وبناء على ذلك، فإن الذي سيتابع عمل رينو لن تتاح له فرصة فهم اللغة التي سيحاول تدريسها.

الجزء الثاني من الكتاب، يبدأ مع **ف. ا. بيلان** - القنصل الفرنسي العام في القسطنطينية - بداية اهتمامه بالدراسات الشرقية كانت شبه عادية تقريباً. لكن هذا الاهتمام ما لبث أن قوي إلى حد يشبه الهلوسة: «انكب منذ سنواته الباكرة على دراسة اللغات الشرقية تحت اشراف (ج. ج مارسال) عضو قديم في المعهد العربي ومدير المطبعة الأميرية. ثم تابع دراسته في المعهد الفرنسي ومدرسة اللغات الشرقية، ليتلقى على أيدي (دي ساسي، كاترمير، جوبير، ورينو) الدروس العربية والفارسية والتركية»

برسنيير (Bersnier): «كان مجرد عامل بسيط للطباعة عندما بدأ بالدراسات الشرقية». «مزوَّداً بأفكار نبيلة، توصل بمفرده لاستكمال تحصيله الأدبي. تابع دروس دي ساسي الشرقية، وكذلك دروس (كاترمير، جوبير، برسقال، ج. ج مارسيل) وكذلك حقق معظم انتاجه في الجزائر، من خلال ملّخصات مدرسية لتعليم اللغة العربية».

دوزي (Dozy): مستشرق هولندي، ولد في (Leyde) (٢١ شباط/فبراير عام ١٨٢٠) ينتمي لعائلة فرنسية من (Valenciennes) استقرت في هولندا في العام (١٦٤٧). الكتابة الحقيقية لاسمه هي (D'ozy) إلا أن هذه الكتابة حُرِّفت بواسطة أحد أجداده. عائلته على اتصال بمشاهير رجال الاستشراق. **اليزابيت دوزي** هي امرأة أحد أعيان عائلة (شيلتنز) ألبير العظيم. وام جان جاك الثاني... «في صيف ١٨٤٤ تزوَّج **دوزي** وسافر مع زوجته الهولندية الساحرة الفاتنة إلى المانيا. وصل إلى غوطا (Gotha)، وبقي هناك لمدة اسبوع اكتشف خلالها الكتاب الثالث لـ (ابن بسام) الذي يبرزه الفهرس ككتاب فريد (للمقري).

وبقي على هذا المنوال، حتى نشر كتابه «تاريخ المسلمين في اسبانيا» عام (١٨٦١)، (Brill)(Leyde) بأربعة مجلدات تحوي (١٤٦٠ صفحة).

استويك (Eastwick): هذا المستشرق الانكليزي، قدّم براهين على إلمامه العميق باللغات الهندوسية واللغات

الهندية المحلية. وكذلك الفارسية. ومن خلال وظائفه في الشرق، قدم خدمات جليلة لبلاده، وذلك بفضل الدراسات التطبيقية التي مارسها على لغات عديدة. بل وكان له الشرف العظيم بالمساهمة لتحقيق وسائل النقل والاتصال الكهربائية في بلاد فارس.

فليشر (Fleischer): ولد في (٢١ شباط/فبراير عام ١٨٠١) «في سنة ١٨٢٤ غادر إلى باريس، لمتابعة دروس (دي ساسي)، وليجري أبحاثاً في المكتبة الملكية الغنية بالمخطوطات الشرقية. بعد ذلك عاشر ـ بداية ـ الطلاب المصريين الشباب الذين أوفدهم محمد علي إلى باريس للتزود بالثقافة الأوروبية.

غادر باريس في عام (١٨٢٨). وكأستاذ للغات الشرقية، اجتهد «فليشر» وقبل كل شيء في تحديد مجاله العلمي، وبالتالي محاولة هدم الادعاء القديم للجامعات الألمانية، ومفاده أن هذه الجامعات تحيط علماً ليس فقط باللغات الأسيوية الحية والميتة، بل تحيط أيضاً بحقل التأويل للعهد القديم؛ لكنه وحتى لا يخرج عن المألوف بشكل مفاجىء، خصص السنوات الأولى في تدريسه لبعض الكتب حول التوراة؛ واكتفى فيما بعد بتدريس اللغات العربية والفارسية والتركية. «وهكذا، نجد في عمل «فليشر» الكثير من الملاحظات: إشارات، تصحيحات، تقويمات، وإضافات، وأخيراً بعض التفاصيل الدقيقة والمهمة حول اللغة العربية وقواعدها. كنّا نفضّل لو أنه طبّق تلك القدرات التحليلية على عملٍ ممنهج ومنظّم للقواعد العربية. وفيما لو قدّر له ذلك، لكان باستطاعته أن يقدم لنا عملاً تأليفياً للقواعد العربية، مرفقاً بالتفسير والشروحات. «يحتل فليشر» المكانة الأولى بين المستعربين الأوروبيين. والمجد لألمانيا التي أنتجت رجلاً بهذا الشأن والقيمة».

ويتابع الكتاب عرضه على هذا المنوال: **فليجل** ونشره لكتاب الحاجي خليفة. **جينبول** وفهرسه. **ماكس مولر** وكتابه حول الألسنية. **مينك** وأسطورته. **بونتيه** والصين. **فيلر. و ويستنفلد** رمال الصحراء. وفي كل ذلك يبدو الكتاب شيقاً، فالفهرس امتد على طول قرن من الزمن، ومن وقت لآخر، نستخلص بعض المعلومات الخاصة بسير حياة الأعلام. إلاَّ أن الكتاب يبقى بمجمله استقصاء مملاً مدعماً برهانه رأي المؤلف. ولكن مهما يكن من أمر علينا الاعتراف لـ **ديفا** على كتابه الشيق «إسناد الراوي في الصرف الفرنساوي» وهو عبارة عن قواعد فرنسية، حُررت باللغة العربية وبحسب استعمال عرب الجزائر. الكتابُ حقق بالتعاون مع أحمد فارس الشدياق سنة (١٨٥٣).